٥٦ مرزوق اليمانى مجاهد يمنى بمصر

نحن على موعد مع رجل صالح ينتهى نسبه إلى الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما، بعد أن التقينا باثنين ينتهى نسبتهما إلى هذا الإمام الشهيد، وهما القطب أحمد البدوى الذى جاء وافداً من المغرب ليستقر بطنطا فى دلتا مصر، والقطب الآخر هو إبراهيم الدسوقى الذى ولد وعاش ومات بمدينة دسوق بمصر، والأول أسس الطريقة الأحمدية، والثانى الطريقة البرهانية.

أمَّا الرجل الصالح الذى نلتقى به هذه المرة فهو مرزوق اليمانى الذى وفد من اليمن إلى مصر ليستقر بحى الجمالية فى القاهرة، وليكون خليفة للقطب أحمد البدوى بعد وفاته.

لكن لماذا قطع هذا الرجل الصالح هذه المسافات الطويلة حتى يصل إلى المكان الذى عاش فيه ومات؟ الإجابة تقول: إن لوصول هذا الرجل الصالح إلى مصر سبباً ربما لا نتوقعه من رجل من الصوفيين.

ولكى نعرف هذا السب وغيره فلنتأمل سيرة حياة هذا القطب الذى وُلد باليمن عام ٦٠٤ هـ. وتوفي ودفن بمصر سنة ٦٧٧هـ إنه كان حسينياً نسباً، حيث ينتهى نسبه إلى الإمام الحسين رضى الله عنه. شافعيًا مذهباً، حيث اتبع مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، أحمديًا طريقة، حيث سلك طريقة السيد أحمد البدوى.

وتذكر المصادر والمراجع أن هذا القطب نشأ وترعرع فى كنف والدين فقيرين، غير أنه لم يكد يشب عن الطوق ويبلغ الحادية عشرة من عمره: حتى صُدم بوفاة والديه، ليتركاه وحيداً فى هذه الدنيا. وطبيعى أن تكون لهذه الحادثة أثرها على

حياته. فهناك من يرى أنها كانت بمثابة نقطة التحول، إذ لم يطب له العيش باليمن، ومن هنا ألحت عليه فكرة الهجرة إلى بلاد الإسلام الواسعة، تلك التى تموج بالأحداث والمحن الناتجة عن هذه الهجمة الضارية من الصليبيين.

وكما تقرر هذه الكتابات أن فكرة الجهاد فى سبيل الله سيطرت عليه بشكل ملحوظ، وفى مقدمة هذه الكتابات ما كتبه المقريزى فى تأريخه له، والدكتورة سعاد ماهر فى كتابها عن مساجد مصر وأوليائها الصالحين.. نعم، لقد كانت هذه الفكرة تراود قلوب الشباب وقتئذ، حيث وقر فى النفوس أن الإسلام فى خطر، وأن هناك مَنْ يريد القضاء عليه، ولذلك وجب الجهاد، فهو فريضة إسلامية.

وفى هذا تذكر الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها قائلة: «إننا لا نشك فى أن الرؤيا التى أخذت تلح على مرزوق اليمانى، وتكررت له ثلاث ليالى متتالية، ولم يجد بُدًا من أن يقصها على جدته التى كانت تكفله بعد الموت المبكر لوالديه، وفحوى هذه الرؤيا «أن شيخاً عربياً تدل عليه أمارات الهداية.. يأمره بالانتقال من اليمن إلى مصر..».

هذه الرؤيا كانت سبباً آخر ـ بعد الرغبة فى الجهاد عن دار الإسلام ـ ولذلك قرر السفر والهجرة بعيداً عن مسقط رأسه باليمن.

وعلى عادة غيره من الصالحين الذين هاجروا من بلدانهم إلى مصر لم يتوجه إليها مباشرة، بل قصد مكة المكرمة أولا، حيث التقى بعلمائها وفقهائها، وانكب على ما وقع بين يديه من كتب ومراجع، يتزود منها ما شاء الله له أن يتزود من الثقافة والعلم، ولم يكتف بذلك، وإنما أنفق بعض الوقت فى الارتحال من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة طلباً للمزيد من المعرفة على أيدى أهل العلم هناك.

وفى المدينة سمع الأخبار المؤلمة عن قرب تقدم واقتحام الفرنجة الصليبيين للمدينة المنورة، وهو ماأهاج المشاعر، حيث تدنس أقدام هؤلاء الفرنجة أرض مدينة الرسول وهو ما لا يرضاه أى مسلم على الأرض، ففيه اعتداء على المقدسات الإسلامية، وأى اعتداء!

والحق أن صلاح الدين الأيوبى قد واجه هذا الأمر الجلل بكل حسم وعزم،

وهو ما لا ينساه له التاريخ وإذا عدنا إلى مرزوق اليمانى فإننا نراه كمسلم لم يرض لنفسه أن يظل هكذا غير إيجابى تجاه الأحداث، وهو ما لا يرضاه له دينه، ولهذا أعد نفسه للسفر إلى مصر لينضم إلى فلول المجاهدين فى سبيل الله ضد هذه الهجمات، كغيره من المتطوعين المسلمين الذين تدافعوا إلى مصر والشام طلباً فى التضحية والفداء.

ووصل إلى مصر، وأصبح له فيها شأن عظيم، فها هو ذا الأمير الكامل ابن شقيق صلاح الدين الأيوبى يثق فى علمه ويجعله مشرفاً على المدرسة الكاملية بالجمالية بالقاهرة، وهى تعد ثانى مدرسة للحديث بعد مدرسة دمشق التى أسست من قبل لتفسير الحديث الشريف.

وعلى عادة غيره من المتصوفة اتخذ مرزوق اليمانى خلوة فى حى الجمالية، قريبة من المدرسة الكاملية، خاصة بعد لقائه بالقطب أحمد البدوى فى القاهرة، وروايته له الرؤيا التى كان قد رآها باليمن، والتى كانت سبباً فى التفكير فى السفر. ولم يكد ينتهى من قصته، حتى قام السيد أحمد البدوى من فوره وألبسه العمامة الحمراء، وأعطاه العهد الوثيق يداً بيد، فكان ذلك نقطة تحول جديدة فى حياة اليمانى، حيث أصبح الخليفة الأول للقطب أحمد البدوى.

لقد كان فى لقاء هذين القطبين الكبيرين: أحمد البدوى، ومرزوق اليمانى نفع كبير تحقق على أيديهما للإسلام والمسلمين.

والجدير بالذكر أن مرزوقاً اليمانى تولى قيادة المحمل منذ وطأت أقدامه أرض مصر حتى وفاته. وذلك بعد حادثة تناقلها الرواة، مؤداها أن هذا الجمل أسرع الخطى إليه عندما رآه، وقد بقى هذا التقليد فى ذريته من بعده جيلاً بعد جيل، حتى توقف المحمل.

* * *